



هوميروس

من
اساطير
الأولين



الأولاد لبيس

لهوميروس

بمعلم الأستاذ دريني خشبة

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب
(نبتون) فنشرت في المشرق غلالة سنية من
فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقدًا في
ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ،
ومينرفا ... ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، قائدة
بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه
وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها
وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أبتاه ! يا سيد أرباب أولمب ! چوف ! اصغ
إلى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة
منكم ، فانها حسبي ! إلى أين تصير الأمور إذن ؟
هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطفلة
يمشون في الأرض مفسدين ، وكأننا أغمضتم
أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم ألا تنكفوا
أشرارهم ، فنسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي
طالبنا منحكم محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته ...
يشوى اليوم في تلك الجزيرة الوحشة يجتر هومره ،

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسيو
فمقدمة الفصول السابقة (١) :

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها عاد كل القادة
اليونانيين إلى أوطانهم إلا أوديسيوس الذي ضل طريقه
في البحر لما كان بينه وبين نبتون من عداوة — وقد
كانت زوجته يتلوى على قسط وافر من الجلال فطمع
فيها كل أمراء بلاده وحاصروا بيتها واستنفدوا
خيراته . وكان ابنه تنهك في طرى العود فلم يقر على
نضالهم ولكن ميترًا ربة الحكمة كانت تعطف على
والده وتمت أولئك العشاق ! فبدت لافتي في صورة
آدمية ونصحته أن يذهب من فورهِ إلى سطور ملك
بيلوس ومثالا يوس ملك أسبرطة ليسألها عما كان من
أمر أبيه — وقد أجرت معه مينرفا تحرسه وتسهر
عليه . وأكرم السكان وقادته وقص عليه ملك
أسبرطة نبذات پروتيوس إله الشاطئ المصري عما
كان من أمر أوديسيوس وما كان من عداوة نبتون
إله البحر له . وأنه ما يزال منفياً في جزيرة كاليبسو
— وهال العشاق إنحار نيليك فصمموا على قتله عند
عودته وتربصوا له في البحر بالفعل . »

(١) نتجهد بقدر استطاع أن نلخص جميع الفصول
السابقة حتى نتصل بالحوادث في ذهن القارئ الذي سائر للملحمة
من أولها ، ولكي يستطيع من لم يسايرها أن يبدأ من أي
فصل شاء

وينير في صفحة السراب آماله ، .. كلا على كاليبسو
عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقاع إلى الوطن ،
ولا يجد قلباً إلى جانبه فيبته حزنه ويشتكى إليه
لأواه ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل
تسلط عليه الأقدار القاسية عصابة من الأعداء
الألداء يتربصون بابنه الشر ، وينتوون غيلته ، إذ
هو عائد من أقصى الأرض . من أسبرطة وييلوس
بعد رحلة منهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن
أبيه يشفى في قلبه غلة ، ويرى في نفسه كاوماً
ويجيها رب السحاب الثقال :

« أنة كلمة هائلة انفجرت عنها شفتاك يا ابنتي ؟
ألسنت تتشوّفين إلى عودة أوديسيوس سالماً
آمناً فيبطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولتجرى
ولده تليماخوس حتى يصل سالماً آمناً هو الآخر
إلى أرض الوطن ، وليببؤ أعداؤه بالفشل »
ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول
الآلهة ، فقال :

« هرمز ! هلم يا بني إلى عروس الماء الشقراء
كاليبسو برسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس
على رمت^(١) وحده ، لا أنيس له من إنس ولا
آلهة ، فليأتني الأهوال الطوال حتى يصل إلى شيريه
أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ،
فليرودوه بسفينته وزاد وذخيرة من أحمال من
ذهب وديساج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق
نصيبه الذي حصل عليه من أسلاب اليوم ، لو عاد
به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبجر سالماً
إلى إيثاكا ... بهذا قضت المقادير أن يؤوب ... وأن
يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملكه وإوانه ؛

ويبقى بعد طول النأي خلانه »
وأصاح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نعليه
الذهبيتين ، نخفتا به كالريح فوق السحاب وفي يمانه
عصاه السحرية المعجبية التي إن شاء داعب بها
الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ،
وما فتى يرف بين السماء والماء ، ويدوم في ذاك
الفضاء كالمرنوق^(١) الذي يتوالب على أعراف الموج
يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة
المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يرتق هنا ويرتق
هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذي
تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر
الكهرماني وقد جاست ثمة تفرد وتغنى وتعمل
دائبة في منسج أمامها ، ويدها تلتقفان الوشيمة^(٢)
الذهبية كما يخطف البرق ! والنار تتأجج في الموقد
بقربها وتتوهج ، وجمر الأرض والصنندل يعبق
ويتأرجح ، ويملاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها ...
وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل
الكهف فغششته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ؛
وصنمت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الزاهب
في السماء ، وكنت^(٣) الحدأة يبيضها ، وقر الغداف
جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل في الآفاق
صفيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من
كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف
وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدفت
جداول أربعة من عيون كوثرية تسقي السندس
الجميل المنسج بأفواف الورد والبنفسج ... منظر

(١) بوزن طنبور وبوزن فردوس طائر مائي (القطاس)

(٢) المكوك

(٣) رقدت عليه

(١) خشب يضم إلى بعضه ويركب في البحر Raft

حباتك الغالية في تنور من الآلام ، هلم ... هيا
إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأبك الذاهب
اقطع منه ماشئت واصنع لنفسك رَمَثًا يملك
فوق هذا العباب المتلاطم . وسأزودك بكل
ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك بأثواب
جديدة تقيك الحر والبرد ؛ وسأسخر لك الريح
تَهْدُ هُدُك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من
آلهة السماء التي تقدر فتعدل ، وتقضى فلا يرد لها
قضاء . »

وتفزع أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال :
« أوه يا عروس ! بل في الأمر سر تحاولين
إخفاءه عني ... أي رَمَثٍ يحملني في ذلك البحر
اللجى وأي ريح تسخرين من أجلى ؟ وإن السفينة
العظيمة لتسخر عبابه وهي لا تدري أنسلم أم يكون
أهلها من المغرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطيني
موثقتك ، وحتى تقسم القسم العظيم ، أنك
لا تبطنين لي شرًا ولا أذى ! »
وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت ترتب على
خديه وهي تقول :

« ويحك ! كيف تسمي بي الظن يا أوديسيوس ؟
أية حجة تملأ بها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصغ
إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء
والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذي يقشعر لذكركه
كل شيء ... أنى لم أضمر لك فيما عرضت عليك
شرًا ولا أذى ... إن الذي تبكي من أجله ، أبكي
أما أضعاف ما تبكي من مثله ، فلقصد كنت ضرورة
من ضرورات حياتي هذا ، ولقد تعلق بك قلبي ،
وهامت بحبك نفسي ، وليس قلبي من صخر
فيحتمل البعد عنك ببله الأضرار بك »

حببي ؟ ! لقد أنقذته بنفسى من هذا اليم الذي
التقم سفينته بمن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه
في عبثه من عبثاته ! حببي الذي أهواه من أعماق
وأفتديه بروحي ، والذي أمهد له حياة الخلود ...
ولكن ... والأسفاه ! كيف أطرده من عندي ؟
ويحى ! إن تكن هذه مشيئة زيوس فلا أحدثن
أوديسيوس ليرى نفسه ، إذ ليس عندي مركب
يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإنى ناصحة
له ، ... »

وكلما همرض فأنذرها من غضبة سيد الأواب
وحضها أن تعمل على إبحار البطل

ورف همرض الرسول في لازورد السماء وانطلقت
عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ،
حتى أقيته فوق صخرة ساهما واجما ، تفري قلبه
الهواجس ، ويعبث به بحال الأمانى ، وقد انهمرت
فوق خديه عبرات حرار ! واللحظات تذل
فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق الخريف
وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار
عروس الماء ! تلك التي تلح عليه حبها البارد ،
وتقسره على أن يقضى لياليه بجائنها على فراش
واحد في ذلك الكهف السحيق ... وكلما فكر في
وطنه ، ونظر إلى الموج المتوالب في أفق اليم ،
وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع
وتصدع ، وأرسل في لانهاية الماء والسماء آهات
وآهات ... »

واقتربت منه عروس الماء في رفق وحذب ،
وقالت له :

« أيها الشمس لا تنتحب هكذا ، ولا تعهر

بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة التي كأنما نسجت من نسبات الصباح المطرى ، وراحت تخطر فيمناة ريانة ، وقد انتشحت حول وسطها النجيل بقرطق جميل ، وألقت على رأسها بخمار صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأساً ذات حدين أحدها كالساطور ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون المتين ، ثم إزميلاً حاداً مرهفاً ... وسارت بين يديه حتى كانا عند غابة عظيمة تُخْرِفُ ، لاجبة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشريين^(١) ، وتركته ثمة وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للبطل المسكين بال ، بل شرع من فوره بقطع كل أيبكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة ... ثم أقبلت كاليبسو وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بمداى أن يضم بعض الجذوع الى بعض ثم كـلـبـها بكلايات كبار ، وأفرغ في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السفانون ... ودعم ذلك جميعاً بألواح ودُسر ، وصنع قلعاً وجعل في القلاع شراعاً ، ثم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن سبارة^(٢) كبيرة تقى الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجدل جوانبه بفروع وأغصان تزيد في قوته وتضاعف من مُنته . وأنتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأنزله الى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها فغسلته وضمخته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه حلة من ديباج ثمين وزودته برقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأتواب

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكا الذي كان يجلس عليه هرمن منذ هنيهة ، ثم أقبل جوارى الماء يحمان شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلوا ورويا ؛ ثم شرعت كاليبسو تحدته وتقول :

« أهكذا يا ابن ليرتيس العظيم ، أيها الحكيم الصناع ، لانفتأ نحن إلى وطنك وتمتزم الرحيل اليه ؛ أنا عذيرك يا أوديسيوس ... فوداعاً ! ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قتادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني كهفي ، فتصبح من الخالدين ... وتذسى هذا الجمال الفاني الذي لا ينفك يصيبك ويسبيك ، والذي أحسب جمالي وفتنتي لا يقان عنه سحراً إن لم يزيدا عليه فتونا ؟ ! »

فيجيبها أوديسيوس الحكيم : « أيها الربة الخوفه ! هوّنى حفيظتك ! أنا أعلم أن بنلوي العزيزة لا ترن من جمالك وفتونك مثقالاً ، لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... وطني الحبيب الذي أحن إليه وأهيم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا اللجج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في أخبار الممعة ؛ وفي الفلك تحت كل شكل الزوبعة ... إلى إلى يا خطوب ، وأقضى بكل حولك يارزايا ... »

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة في سريرها الوثير وبين ذراعيها حبيبتها تسمه وتضمه ، وتحسه وتأنسه ... حتى إذا نضرت بالورد أورورا جبين المشرق ، هب الالغان وتدثرا ؛ هذا بشوبه الحسن ، وتلك

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والفاموس

(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر (صابورة)

وودع عروس السماء المحزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتمد رويداً رويداً

وكان قلبه يفيض بالبشر ، وصدره يعتلى بالانشراح ... وظل يجري به الفلك الصغير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليل ما ترمان عن الثريا في علياء السماء ، وما تفتران تنظران الى نجوم الدب الأكبر التي تقف للجبار^(١) بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يرح ، أن يجعل هذا النجم الى شماله أبداً ثم بدت جبال فيششيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ... ولكن ! وأسفا ! ... لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عنانه من سوليا^(٢) ، فلهج أوديسيوس فوق رمته بتوائب على هام الموج ، ويقترب من الشاطئ ، فينجو الى الأبد من بطشه ... وثارت في نفس نبتيون — إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس — ثورة من الغضب ، وظل بملك هذه السمكات في نفسه من فوق بطاح إثيوبيا^(٣) :

« وى ! أو قد تبدت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس ، فقصوا فيه ما قصوا لأنهم يسكنون السماء ، ولم يبالوا بي لأنى أسكن الأرض في إثيوبيا ؟ ... إنه يرى شاطئ فيشيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم تترصده في كل موجة من موج هذا اليم ... ولكن ... لا ... لألهبته بألف سوط عذاب قبل أن يصل الى البر ... »

ثم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب الثلاث فانهقدت منه ظلمات في أرجاء السماء ، وطفق بهد يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم بالأمواج ، وصاح صيحة بريح الشرنين ورياح الغربيين فاجتمعت إليه من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الثلجية الملاحفة فانطفأ لألاء النهار ، وناء الليل فجأة ، وطفى العباب وشابت نواصيه بالثبيج ، وتناوح الوج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث نفسه هكذا : « ياتعماسى ! أى مقدار قاس يترصدنى ؟ ! لقد أنذرتنى ربة السماء مغبة هذه الرحلة الهوجاء في البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد التي تعتور طريقى إلى الوطن ، فها هى ذى تنحقق ! أية أعاصير هوج وأى موج ينتفض من الأعماق ساط جوف على هذا البحر ! بعد لحظة أغوص في ظلمة هذه القبور التي يشقق عنها الموج ! ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً في سبيل إنقاذ الأتريدس^(١) أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إذ أدفع جوعهم عن جثة أخيل ! ! أجل ! لو أننى مت ثمة لأقيمت من أجل الطقوس الجنائزية ، وأديت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه وأعز عثراته . وتفاديت هذه الموتة المجهولة التي تكاد تلتقمنى ! »

ثم كانت الطامة ... فان موجة كالطود فجأته ... فبعثت الرمث ... وأفلت مقبض السكان من يدي أوديسيوس ، فانتثر في اللجة ، ثم غاص في أعماقها ، وعبثاً حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت من

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى بيسيديا

(٣) هكذا في الأصل

كل مكان ، وكلما نجا من موجة فغرت له فاهها أخرى ... ثم حدثت المعجزة ... فقد وسمعه بعد لأى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس إلى السطح ، وأن يلا رثيته المنهوكتين بنفسه من الهواء ، كانت تخرج بالماء الأجاج المتصعب من جبينه ، حتى لأوشك أن يغص بها ... لولا أن لطف به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انتزعت الماصقة قلاعته وشراعه ، فسبح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه الموج تلعب به واحدة وتعبث به أخرى ، وتجتمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قبض له القدر عروس الماء (إينو) إبنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم ، والتي اتخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود ... لقد تفجرت في قلبها شأبيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رأيته في هذا الروع الذي ليس كمثل روع ، فسجرت نفسها ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء ، ثم قالت له : « ويحك أيها البائس ! فيم أثرت غضبة نيتيون عليك حتى ليتبعك مربا في شعاب البحر ، ويصب عليك كل تلك الرزايا ... ؟ على أنني أنصح لك أن تدع هذا الرمث ، تتدافعه الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفز في الماء ، وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا ، حيث تسلم بنفسك ، وتكون بئامن من بطش هذا الجبار . خذ ، هالك زناراً من حرير من حياكة السماء ، لفه تحت صدرك ، فانه يجعلك بئامن حتى من مجرد التفكير في الموت ؛ فاذا وصلت سالماً إلى الشاطئ ، فارمه بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ،

بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء » وسلمت إليه زنارها الموعود ، ثم غاصت في الماء ، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ؛ ثم أفاق من غشيته ، وجعل يهرف هكذا : « أوه ! ترى ؟ أذاك شرك آخر تدبره الآلهة لي ؟ ولكن لا ... لن أبرح مقبياً فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولأظل مكافى مادامت الجذوع مكلبة هكذا ، فاذا حطمتها يد الحدثان فلأفعمان كما أشار الآله الذي كان يكلمني منذ لحظة ... » وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نيتيون موجة جارفة حطمت رمثه ، وتركتة عالقاً بأحد الألواح ... وأمرع أوديسيوس نخاع الرداء الجميل الديباجي الذي خلتمته عليه كاليسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نيتيون الجبار يرى بعينه ، ويشفي حردّه ، ويقول في نفسه : « ذُقْ يا أوديسيوس وبال أمرك في هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالك بحبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهي آلامك ! »

وحث مطييه حتى وصل (إيجه) حيث يشرف قصره النيف

وكانت ميترفا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس وبين اليم ، فاطلمت من عليائها ، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ربح الصبا الشمالى الكريم فجري^(١) رخاءً ، يدفع أمامه البطل العظيم الذي ظل يناضل الموت وبصرعه يومين أطول من دهر ، وليلتين

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

فقدفه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره المحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل ... ويدعو من أعماق قلبه ويصلي ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وفلّ من غرب الماء واستطاع البائس المهوك أن يصل الى إحدى العدوتين واهياً متهالكاً محطاً .. فانظر ح على الثرى يقبله .. ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبتهن يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عبي مصدّع ، ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاء وصقيع الفجر ... فلو أنني استطعت أن أتسلق هذا الحدور فالوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن ! وى ! أى وحش ضار يغتذى بلحمي ثمة ؟ »

بيد أنه توقف في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان بين زيتونتين إحداها مشمرة ، والأخرى عقيم ؛ كل منهما لفاء شجراء حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالها ، ولا الماء بواصل إلى من استندى بهما هناك ... وجد أوديسيوس مأمنه ؛ فراح يهد الأرض ، ويللم ما استطاع من قش ويحتطب حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره ، من الضاربين الشردين في الأرض ، ودعم حفافها بفروع الشجر ... ثم أسلم عينيه انوم هادى عميق ، مكبته ميتة في كلتا مقلتيه

فلله ما كان أروع غاراً في هذا السقط من القش ، كشملة من زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يمتز بها ربنى شاب في قرار مكين^(١)

(يتبع) ربنى خشية

أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا في اليوم الثالث ، استطاع أن يرى الشاطئ على صرعى البصر ، من فوق موجة عالية

ما أحلى الأمل الذى يحيا بعد يأس ! لقد كان ينظر أوديسيوس إلى التلال والجبال القريبة ، والغابة الناعمة في أحياها ، كما ينظر الأطفال الأبرار إلى أب لهم أنهكتهم العلة ... ثم عمائل للشفاء بعد تسليم وقنوط !

وتحسس الأرض بقدميه ... ولكن ... وأسفا ! الأعماق الهائلة ! والصخور والأواذى ! والموج الذى يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويربد ... ! لم يكن بهذه الجهة صرفاً ، ولم تكن تجوس خلالها سفن ... ولقد ظل أوديسيوس يكافح ويكافح ... حتى غم على قلبه ، وكاد يتغشاه طائف من الخور ، بعد أمل أكيد !

وجاشت الوسوس في قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك في هذه اللجة الرجراج ... وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ، أو أن تلمحه أمفريت ، زوج نيتيون ، عدوه اللدود ، إله البحر ، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه ، أو يقذف به الى أعماق الأعماق ... كرة أخرى

وبينا هو في بحرين من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب بها اليم فتدفعه في قوة وعنف الى الشاطئ ذى النتوء والنوى فتكاد تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة صخرة بارزة ... وثمة ظل معلقاً حتى أقبل جبل آخر من موج البحر فاحتمله الى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين ثمانية وثلاثة حتى تدافع الموج من خلفه

(١) كانت النار في الزمن القديم أغلى ما يستز به الناس